تعـقيـــب

يمكن إيجاز أهم النتائج التى انتهينا إليها فى هذا البحث فى النقاط التالية :

١ - إن النزعة الذاتية ومانتج عنها من شك يعتبر بمثابة اتجاه فى الفلسفة نشأ نتيجة لتدهور الفكر فى العصر الهيلينستى والإنصراف عن النظر . إلى العمل والسلوك . فبعد أن توفى أفلاطون . رأس الأكاديمية جماعة من تلاميذه المتعاقبين . وأخذوا يتابعون حركة البحث . سالكين منهج أستاذهم دون أن يغيروا شيئاً فى المذهب القديم أويستحدثوا فيها ما يستلفت النظر . وظلوا كذلك إلى سنة ٢٦٨ ق . م وهو العصر الذى أدخل فيه جماعة من تلاميذ أفلاطون النابغين تجديداً على الأكاديمية جعلها جديرة باسم الأكاديمية الجديدة . والرجل الذى قاد مدرسة الأكاديمية فى طريقها الجديد . طريق الشك هو أرقاسيلاس . وربما كانت الأسباب التى أدت إلى فتح أبواب الأكاديمية للشك الأبيرونى هو نفى سقراط أنه لا يعرف شيئا . واهتزاز الإعتقاد فى حقيقة العالم المادى نتيجة للمذهب المثالى الأفلاطونى ومن ثم كان الموضوع الرئيسى له هو تفنيد نظرية المعرفة الرواقية . وخصوصا نظرية زينون الرواقى فى التصورات الناتجة عن الإحساسات . وقد كان اعتراضه الرئيسى على هذه النظرية إذا صرفنا النظر عن بعض ألوان النقد الشكلية التى وجهها إليها . هو أنه لاتوجد أفكار تحمل علاقة الحقيقة . وقد حاول البرهنة على ذلك بعدة تطبيقات مختلفة . وكل هذا يجعل الرأى الذى جاءت به بعض المصادر . والذى يقول بأن نزعته الشكية إنما كانت تمهيداً لتأييد الإتجاه اليقينى الأفلاطونى . كل هذا يجعل ذلك الرأى غير معقول . إنما الظاهر أنه كان معتقداً أنه بمذهبه الشكى يبقى مخلصا لروح الجدل السقراطى كما يظهر فى محاورات الشباب الأفلاطونية هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنه إذا كان أرقاسيلاس قد رفض إمكان المعرفة فإن رفضه هذا

يحمل معه رفض إمكان السلوك القائم على العقل . وذلك لأن التصور العقلى يحرك الإرادة حتى وإن لم نعتبره معرفة ويكفى من أجل أن يكون السلوك سلوكاً عقليا أن نتبع طريق ماهو محتمل . والإحتمال هو أعلى معايير السلوك فى الحياة العملية . وقد استمر خلفاء أرقاسيلاس مخلصين لمذهبه . ثم دخلت الفلسفة الشكية مرحلة جديدة مع كارنيادس . اذ تعتبر تعاليم كارنيادس قمة الإتجاه الشكى فى الأكاديمية الجديدة . وكما أن أرقاسيلاس جعل من مذهبه الرواقيين فى " المعيار " الهدف الرئيسى لهجماته . فإن كارنيادس هو الآخر اعتبر الرواقيين الذين كانوا أكثر الفلاسفة اليقينيين تأثيرا فى عصره . اعتبرهم خصومه الأول .

والسؤال العام الذى بدأ به – هو عما إذا كانت المعرفة ممكنة من أساسها أم لا ؟.

ورأى أنه ينبغى إنكار هذا الإمكان ، حيث إنه برهن بالتفصيل على أن كل الاعتقادات يمكن أن تخدعنا ، وعلى أنه يوجد إلى جانب أى تصور حقيقى تصور آخر خاطىء يشبهه وعلى هذا فليس هناك من معيار للحقيقة على طريقة " التصور القائم على إحساسات " عند الرواقيين . وعلى هذا الأساس نفى كارنيادس إمكان القيام بأى برهان من جهة لأن هذا لايتم إلابرهان . فنقع بهذا فى تحصيل الحاصل . ومن جهة أخرى لأن مقدمات البرهان تتطلب برهاناً بدورها وهكذا إلى ملا نهاية .

كذلك وضع كارنيادس مضمونات المذاهب الفلسفية تحت فحص " تفصيلى " وناقض مذهب الإلهيات الرواقى على الأخص من كل جوانبه . وكان الرواقيون قد استدلوا على وجود الإله من غائية تركيب الكون . فجاء كارنيادس ونفى صحة هذه النتيجة ونفى كذلك صحة الإفتراض الذى تقوم عليه وذلك ببيان وجود شرور عديدة فى

العالم . وهاجم فكرة الإله ذاتها حين أشار إلى أننا لا نستطيع أن نتصور الإله على أنه كائن حى عاقل بدون أن ننسب إليه صفات وحالات تعارض خلوده وكماله .

والنتيجة الأخيرة لمباحثه الشكية كانت بطبيعة الحال تلك النتيجة التى طالما تردد ذكرها . ألا وهى عدم إمكان أنه معرفة على الاطلاق . وطلب تعليق الحكم تعليقاً مطلقاً بغير شروط .

٢ - وإذا ما تركنا الأكاديمية الجديدة وانتقلنا إلى الفيثاغورية فإننا نجد الأثر الأفلاطونى بادياً للعيان من خلال تأثر بلوتارخوس بالنزعة الروحية الأفلاطونية فقد كان ميالاً إلى فلسفة أفلاطون لكن معظم الآراء الأفلاطونية التى تأثر بها كانت ممتزجة ببعض الآراء الفيثاغورية لاسيما فيما يتعلق بخواص الأعداد وفضائلها .(١)

ولقد تأثر بلوتارخوس فيما يقال بالثنائيـــة الفارسية بإلهين . إله للخير ويسمى " ارمزد " وإله آخر للشر ويسمى " هريمان " وإله الخير هو مصدر الموجودات الخيره . أما إله الشر فإن له القدرة على خلق الموجودات الشريرة . ويرفض نزعة الرواقيين المادية وبخاصة مذهب وحدة الوجود عندهم التى لا تفرق بين الإله والعالم . كما أنه لا يوافقهم على قدرهم المحتوم الذى كان يظهر له متناقضاً مع العقل والضمير الإنسانيين .

فضلا عن أنه لا يتذوق أخلاقهم المثالية التى تسىء فهم الإنسان . كما أنه يرفض إلحاد الأبيقوريين . (٢)

ولعلنا نلحظ أثر النزعة الأفلاطونية على بلوتارخوس فى تأكيده على أن مذهب أفلاطون الحقيقى لا يختلف عن مذهب فيثاغورس . وأن مذهب الأخير لا يختلف عن

1- Horatio. W.Dresser: A History of Ancient & Medival . Philosophy.P.177.
2- Zeller:outlines of the History of Greek philos.op.cit,P.312.

مذاهب حكماء الشرق من هنود وفرس ومصريين وعبرانيين . ولقد ذهب بلوتارخوس إلى ماهو أبعد من ذلك . فلقد أعلن أن الفلسفة الإغريقية لم تكن إلا قبساً من التعاليم الموسوية وأن أفلاطون ليس إلا موسى يتكلم الإغريقية . (١)

ولقد كان تأكيده أيضا على ضرورة تطهير النفس وتنقيتها وهى طريقة تشترك فيها الفيثاغورية مع كثير من المذاهب الصوفية لذلك كان يرى أن حياة النفس فى هذا العالم إنما هى تهيئة وإعداد للخلود ولن يكون خلاصنا من ربقة هذا العالم المحسوس إلا بتحرير النفس من ارتباطها بكل ما يعوق انطلاقها وتمكينها من الإتجاه إلى العالم العلوى الشريف .

ولقد جمع بلوتارخوس بين الجانب الدينى وبين احترام التقاليد ومعتقدات الأقدمين . إضافة لذلك حماسه الحقيقى للإصلاح الخلقى الروحانى . فالنفس عنده ترتبط بالإله عن طريق سلسلة من الرسل الذين يكونون سلماً للصعود لها . وبناءً على ذلك يتحدد مصير الروح عن طريق عدالة جزئية شديدة . فنحن نختار على حد قوله أقراننا ونصاحب من يحلو لنا . (٢)

٣ - وإذا انتقلنا إلى فيلون السكندرى زعيم مدرسة الإسكندرية فلسوف نجد أنه أشهر فلاسفة اليهود فى القرن الأول للميلاد . ولقد جمعت فلسفته بين التوحيد اليهودى وفلسفة أفلاطون وإذا نظرنا إلى مذهب فيلون نظرة شاملة . فإننا نلاحظ أنه يبدأ من الدين . فالفلسفة . والفلسفة لاتقصد عنده لذاتها وإنما من أجل تفسير نزعة دينية خاصة . إذ أن الأصل عنده هو الديانة اليهودية وليس الفلسفة الإغريقية

1- Copheston : Histary of philosophy . op . cit. P. 214.
2- Inge , The philosophy of plotinus . op. cit . P.54.

والفلسفة عنده تبدأ بأن يكون الإنسان مؤمناً بعدة حقائق ثم يحاول بعد هذا أن يفسرها . كما يتضح من مذهب فيلون التأثر بالعناصر الشرقية القديمة أكثر من تأثره بالعناصراليونانية الخالصة وبخاصة أن فيلون إهتم بوجه خاص بتفسير العقائد التى جاءت بها الديانة اليهودية ولم تكن تعنيه الفلسفة اليونانية فى ذاتها بقدر ما يعنيه تفسير المعتقدات الدينية اليهودية . لكن على الرغم من ذلك لايمكن استثناء المذهب الفيلونى من التأثر بالآراء الإغريقية . فقد كان منهجه فى شرحه على التوراة أفلاطونى النزعة . كما يبدو فى وصفه لرحلة النفس إلى الله وربطه للنفوس بعالم الألوهية . غير أن ما يؤخذ على فيلون هو تصوره للألوهية من حيث أنه يجمع فى مذهبه بين تصورين للإله . إله ذو علاقات مستمرة ومتعددة ولاسيما مع الإنسان ، يحبه ويرعاه ، وإله آخر متعال لاتربطه بالإنسان صلة ما ، ولاتدركه سوى الأرواح المفارقة فى حالة الجذب أو الخروج ويلاحظ أن هذه الفكرة عن الله هى التى سادت فى فلسفات الفيثاغوريين المحدثين . والأفلاطونيين الجدد . أما فكرة الإله القريب الصلة بالإنسان فهى التى بشرت بها المسيحية فى وسط العالم الهيلنيستى عند ظهور المسيح . (١)

٤ - وأخيراً فإن النزعة الأفلاطونية المحدثة وما أحدثته من نجاح ظاهرى تمثل فى تحول الإتجاه الثنائى الفيثاغورى والأفلاطونى . إلى مذهب وحدة الوجود والألوهية الذى اتسم بالروحيه . هذا النجاح الظاهر نجاح خادع وذلك لسببين هما : -

السبب الأول : لأن الأفلاطونيين المحدثين تشككوا فى نهاية الأمر فى إمكان الوصول إلى المعرفة النظرية للأساس الأول المطلق لكل الوجود . وحاولوا العثور على دوائر تمثل فى المعرفة الكشفية التى يتلقاها الفيلسوف وهو فى حال الإنجذاب الصوفى .

---

١ - د / محمد أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى ، الجزء الثانى ، المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .

السبب الثانى : لأن الاتجاهات التصوفية التى تنطبع بها نظرية الأخلاق عند أبرز ممثلى الفسلفة الأفلاطونية المحدثة تظهر فى وضوح أن تصورهم للعالم كان تصوراً ثنائيا فى جوهره وأنهم ظلوا رغم قولهم الظاهرى بالمذهب الواحدى مخلصين لشعارهم ألا وهو " رجوعاً إلى أفلاطون ".!!

ولكن هناك مع ذلك جانب معين أدخلت فيه الأفلاطونية المحدثة تعديلاً شديد الأهمية على المذهب الأفلاطوني الأصلى ذلك أن أفلاطون كان قد ضحى بالفرد من أجل مثل اجتماعية وسياسية . أوهكذا فعل فى الجمهورية على الأقل . أما الأفلاطونية المحدثة فإنها آثرت اتخاذ موقف يؤكد علي الفرد لا الجماعة . فقد قالت أن جوهر الفكر الفلسفى لم يعد يقوم فى معرفة موضوع الفكر . بل فى حال النفس العارفة . وهي فى قمة نشوة الغبطة حين اتحادها الإنجذابى مع الإله بوسيلة التزهد والخلوص لهدف لمعرفة وبهذا يكون مذهب الأفلاطونية المحدثة بتأكيده على الحاجة إلى المعرفة الكشفية بدلاً من الإعتماد على الفحص المستقل الذى يقوم به العقل نفسه . قد دفع بالتطور الذى بدأ فى الفيثاغورية الجديدة وفى الفلسفة اليونانية اليهودية إلى غايته . وأتم بذلك إنتحار الفلسفة وربما كان قول الأفلاطونية المحدثة بأن تحرر النفس من قيود المحسوسات هو تحرر ذاتى يقوم به الفيلسوف بمحض قواه . ربما كان هذا هو اللمعان الأخير الذى تبقى من ثريا المبدأ السقراطى فى " استقلال الفيلسوف " .

وعلى الرغم من أن الأفلاطونية المحدثة من حيث كونها حركة فلسفية تشكل كلاً موحداً . الا أن الخصائص التى أوجزناها فيما سبق لا تظهر دائما بنفس الأهمية عند كل المنتمين إليها فبعضهم أكد على الجانب التأملى من تلك الخصائص المشتركة . وبعضهم على الجانب الأخلاقى بينما اتبع بعضهم الآخر طريق الإهتمام بآراء السابقين . وهذا ما

تجلى عند أفلوطين ، فورفوريوس ويامبليخوس .

وعلى كل حال تركزت عنايتهم فى محاولة إنتاج مذهب فلسفى يمكن أن يلبى مطامح الإنسان الروحية جميعاً عقلية ودينية وأخلاقية وذلك بتقديم صورة شاملة ومتسقة منطقيا للكون ولمكان الانسان فيه . وبشرحه لكيفية تحقيق الإنسان للخلاص ، وكيفية استعادة توازنه وحالته الأصلية المفقودة ولقد قام هذا المذهب على أصول أفلاطونية . ومن هنا جاءت تسميته بالأفلاطونية الجديدة . وتمثل عناصر من جميع المذاهب . فلسفية ودينية يونانية وشرقية بما فى ذلك السحر والتنجيم والعرافه .

مصدر إلهام عند الشعراء والفنانين . وهو علة وجودالموجودات وسبب معرفتها - وهو الأصل الذى نهتدى به فى سلوكنا لنبلغ الخير والعدل ، فيجب علينا إذن أن نبادر إلى معرفة الإله والبحث عن حقيقته.

هذه الرؤية الأفلاطونيه تؤكد بما لايدع مجالاً للشك أن أفلاطون نادى بإله واحد ، وإن اختلف المسمى عنده "الصانع" إلا إنه إله واحد ، ولكن على الرغم من هذا يؤكد بعض المؤرخين أن كلام أفلاطون عن الإله فيه شئ من الغموض حتى إنهم قالوا بأن أفلاطون لم يعرف التوحيد ولم يصل إلى الإله الواحد. لكننا نختلف معهم فى ذلك إذ أن غموض فكر أفلاطون عن الإله الواحد يرجع فى الأصل إلى استعانته بالتشبيهات واصطناعه للأساطير. وهذا فى حقيقته راجع للبيئة الدينية التى كان يحيا فيها أفلاطون وهى ماسبق أن عرضنا لها فى الفصل الأول من هذا البحث. وعلى أية حال فلكى يحدد أفلاطون نوعية هذا الإله حتى لايلتبس الأمر على عقول الناس فقد نظر أفلاطون فى الصور المختلفة للمعتقدات التى تملأ حياة الناس فقسم الدين إلى ثلاثة أقسام :

١- **الدين الميثولوجى** : وهو من إختراع الشعراء " هوميروس وهزيود" وهودين طريف مملوء بالأساطير يسلى الناس ويسرى عنهم . وهذا الدين الميثولوجى أى الأسطورى والخرافى هو الذى هاجمه أفلاطون هجوماً شديداً فى " الجمهورية" وتبعا لذلك هاجم الشعراء بصفة عامه حتى لايتشبه الناشئة بهم وبما كانوا عليه من رذائل.

٢-**الدين الذى صنعه أصحاب السلطان** فشيدوا المعابد وأجروا الأرزاق على الكهنة للمنفعة الإجتماعيه حتى يضمنوا انقياد الشعب وطاعته لهم وسياسة الناس عن طريق الخوف النابع من الضمير.

٣-**دين الفلاسفة** : وهو دين عقلى وصلوا إليه بالتأمل فى معرفة الإله ، وهو وحده الذى يصور الحقيقة أوعلى الأقل طرفاً منها وهو الذى ارتضاه أفلاطون وكان بمثابة الإمتداد الحقيقى لنزعته الروحيه.